التداخل اللغوي بين العربية و الهندو – أوربية - التأثير والتأثر -

م . د حيدر كرم الله قاسم/ كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية / واسط
م.د أسعد عباس كاظم/ كلية الآداب/ جامعة واسط

ملخص البحث

يعد التداخل اللغوي بمفهومه العام احتكاك اللغات وتداخلها نتيجة التأثر والتأثير بين العناصر اللغوية سواء على مستوى الفصيلة اللغوية الواحدة أم على مستوى الفصائل الاخرى ، وقد حملت العربية سمة لغة القرآن الكريم مما أعطاها مرونة التواصل والتواشج بين اللغات، ولماّ كانت فصيلة اللغات الهندو- أوربية هي من أوسع اللغات انتشاراً وأكثرها تقارباً مع العربية تكوّنت أثارٌ كبيرة على مستوى المفردة (الكلمة) أو الصوت أو على مستوى التركيب و الاسلوب، وقد حدى بالكثير من المفردات أو التراكيب الصوتية أن تتناثر بين اللغات المتقابلة ، فضلاً عن محاولة جديدة لكشف أصول الكثير من الكلمات التي كانت مندثرة ومجهولة بين طيات المعجمات لتلك اللغات، ولمّا كانت اللغات الهندو – اوربية متعددة ومتشعبة فقد اعتمدنا على مجموعة من اللغات التي اختلطت بالعربية بأسلوب مباشر سواء بالتجاور أو الغزوات والحروب وغيرها، أو باسلوب غير مباشر عن طريق التبادل العلمي والثقافي والتجاري.

تمهيد:

تمثل اللغة في كل الشعوب مظهراً من مظاهر الحضارة والثقافة، فهي هوية الإنسان وتحضره، ولمّا كانت اللغة اجتماعية النشأة والتكوين فهي تتأثر بما يعتريها من تقاليد وعادات المجتمعات الاخرى، ولعلّ ذلك ينعكس على أدائها في تحقيق وسائل التواصل مع جميع اللغات، وبما امتلكته اللغة العربية من تلك الخصائص في تبنّيها وتأثيرها على معظم لغات العالم فقد هيّأت لنفسها ان تمتلك الصدارة ، فهي لغة القرآن الكريم ، ولعلّ ذلك جعلها تبسط مقوماتها في أقصى البلدان. ويعد تداخل اللغات أحد مظاهر التطور اللغوي ، الّا انّ تطور اللغات بمأمن عن التأثر الخارجي ليس ممكناً ولا يمكن أن يتحقق مع جميع اللغات، بل العكس من ذلك، "فإنّ الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيراً ما يلعب دوراً هاماً في التطور اللغوي"(١) .

ولعلّ ما يميّز اللغة العربية في هذا المجال هو تداخلها مع كثير من لغات العالم ، فقد أشار الباحث المسيحي رفائيل نخلة اليسوعي إلى وجود سبعٍ وثلاثين لغةً اقتبست الكلمات العربية ، ولعلّ ابرزها الإيرانية والتركية والهندستانية * ، وإنّ قاموسهم اللغوي حافل بآلاف الكلمات العربية الأصل ، بحيث لا يكاد العثور على جملة طويلة في تلك الألسن لا تحوي على عناصر عربية، ثم يذكر في موضع آخر بأن ما وجده في إنجيل القديس يوحنا وبخاصة في الآيات الأربع و الثلاثين الأولى منه ألفاظاً عربية، يضم مائة وإحدى عشرة كلمة في اللغة الايرانية، ومائة وأربع كلمات في التركية، وثمانين كلمة في الهندستانية(٢) .

ويتمثل التداخل اللغوي في جوانب متعددة الّا أنّ ما يخص المفردات يعدّ أكثر أهمية لا سيّما وإنّه يدخل في الجانب التركيبي للكلمة سواء أكان على مستوى الصوت المفرد أم المقطع أم من باب التقابل النطقي للأصوات. ولا يمكن أن ننكر أهمية التداخل اللغوي على مستوى الاسلوب و المنهج وبخاصة في مجال الادب بصنفيه الشعر و النثر ، وقد توضحت اكثر حينما تقلصت الدراسات اللغوية بمجال البحث في اللغة في العصر الاموي الذي يعد مرحلة تثبت الهوية اللغوية والقومية او ما يسمى نهاية عصر الاحتجاج بعد ظهور اللحن واختلاط اللغات لينطلق الادب والادباء في العصر العباسي واتساع اللغتين الفارسية واليونانية، فقد اخذت الاساليب الادبية تظهر بشكل جلي وحسبنا

بشخصيتين مؤثرتين هما عبد الله بن المقفع ، وأبو عثمان الجاحظ اللذان برّزا أثار الأمم الأخرى ، وهكذا الحال في العصور المتقدمة بعد حملات الاحتلال وظهور مفهوم الانتداب مما هيأ الى مدراس التجديد والحداثة .

وتكمن أهمية اللغة العربية في امتدادها الجغرافي على أثر الفتوحات الاسلامية التي امتدت من الشرق الى حدود الصين ومن الغرب الى بلاد الأندلس (اسبانيا والبرتغال) ، ومن الشمال الى سفوح الاناضول حتى الجنوب الى اواسط افريقيا ، فهي عانقت حضارات العالم في آسيا وأوربا وأفريقيا ، ولعلّ هذا التلاقح الحضاري قد أفرز احتكاكاً وتداخلاً مع اللغات المنتشرة في تلك البلدان ، فقد " ظفرت في العراق باللغتين الارامية والنبطية ، وفي ايران باللغة الفارسية ، وفي الشام باللغتين السريانية واليونانية، وفي مصر باللغتين الديموتيقية واليونانية ، وفي تونس وما وراءها بالمغرب باللغتين البربرية واللاتينية ، وفي الاندلس باللغة الرومانثية الاسبانية " (٣)

التأثير والتأثر بين اللغات :

يمثل مفهوم التأثير والتاثر بين اللغات قانوناً اجتماعياً انسانياً يحدث بين جميع اللغات الحيّة التي تحتاج الى ما تتميز به في ميدان التحضّر، ولعلّ الشواهد حاضرة في ميدان كلّ لغة ، ومبدأ الاقتراض يختلف باختلاف العلاقات القائمة بين متكلمي الشعوب، فكلما قويت العلاقة بين الشعبين زادت الروابط اللغوية بينهما ، وبالتالي تزداد فرص التبادل اللغوي ، فاللغة الانكليزية مثلاً قد أخذت عن النورماندية الفاظاً كثيرة ؛ لأنّ الغزاة النورمانديين استقرّوا في بلاد الانكليز بعد الغزو، وكذلك اللغة اللاتينية اقترضت من اللغة الاغريقية ؛ لتجاور الشعبين اللاتيني والاغريقي ، ولعلّ تأثير اللغة نفسها يختلف من مكان الى آخر، "فما اقتبسته ألمانية سويسرا من اللغة الفرنسية لا يذكر بجانبه ما اقتبسته منها ألمانية النمسا مثلاً؛ وذلك لأنّ القسم الالماني اللغة في سويسرا متاخم للقسم الفرنسي اللغة ، ولشدة الاحتكاك بين سكان القسمين، على حين أنّ النمسا غير متاخمة لمنطقة فرنسية اللسان " (٤) .

أما العربية فقد توافرت فيها شروط الاقتراض اللغوي من كثير من اللغات سواء أكان بطريقة التجاور ام بغيره فقد دخلتها العشرات من الألفاظ الأعجمية سواء أكان بالاقتراض المباشر أم من خلال الترجمة التي تعد باباً من ابواب التأثير اللغوي الا أنّ هذه الالفاظ تعد قليلة اذا ما قورنت بغيرها من اللغات، والالفاظ بصورة عامة لا تبقى لحالها في جميع اللغات وإنما تخضِعها الى نظامها الصوتي او الصرفي، فضلاً عن تاثرها بالعوامل البيئية والفيزيولوجية .

وقد وضع أحد الباحثين مفهوم التأثير والتأثر بين اللغات تحت باب (التأثيل والترسيس) ، والتأثيل (Etymology) هو مصطلح مأخوذ من (الأثل) أي الأصل ، والمراد به تأصيل الألفاظ ، بمعنى إرجاع الألفاظ إلى أصولها المباشرة أو القريبة منها . أما الترسيس (Radixation) وهو مصطلح مأخوذ من (الرس) أي الابتداء ، والمراد به إرجاع اللفظة العربية أو الأعجمية إلى بداياتها الأولى أي مرحلة نشوء اللفظة وبداية نطقها .(٥)

وعلى الرغم من حداثة المصطلحين الا انهما يتناولان الجانب التاريخي للفظة من حيث نشأتها والتطور الحاصل لها على مر التاريخ حتى يومنا هذا ، لكن ما يميز هذا المفهوم هو تتبع الالفاظ ليس على مستوى اللغة التي تنتمي لها هذه اللفظة وانما مقارنتها مع اللغات الاخرى ومدى تاثرها بتلك اللغة .

وقد أشار الباحث إلى كثير من الألفاظ إذ أرجعها إلى أصولها العربية بعدما كانت متداولة في اللغات الأوربية(٦). ويبدو أنّه حينما عرض لتلك الأمثلة الكثيرة كان قد وضع منهجاً محدداً في تحديد المصطلحين وإيجاد الفوارق بينهما حينما وجد أنّ مفهوم التأصيل قد اصطبغ بالصبغة الأوربية بعد إن كان عربياً ، وأنّ الترسيس علم عربي محض استطاع أن يحدد بدايات الألفاظ ليس للعربية فحسب بل للكثير من الألفاظ في اللغات الأخرى .

ويبدو أنّ هذا التحليل في تفسير التداخل اللغوي بين اللغات على أثر الظروف المحيطة وتأثرها باللغات الأخرى قد عمد إليه الكثير من الباحثين حينما يتناولون مفهوم الدخيل والمعرب في العربية إلا أنّ إيجاد المفاهيم والمصطلحات كان أكثر تميّزا من أجل تحديد المنهج المتبع في بيان أصل الألفاظ ونشأتها وآلية الاستعمال بين اللغات.

ويمكن إجمال أهم الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى التأثير والتأثر بين اللغات بما يلي :

١- الاحتلال او الغزو بين الشعوب ، وهذا يعود الى الصراع او الحروب ، اذ الهيمنة او الانتصار في احتلال المناطق او البلدان يمكن ان يدعم اللغة بين الطرفين ولعلّ ذلك يعود الى مفهوم الانتداب في الوقت الحاضر فهو يمثل نقل الحضارة او الثقافة الى الشعوب الفقيرة مثلما نجد في دول المغرب العربي من انتقال الكثير من صفات اللغة الفرنسية الى اللغة العربية بل تكاد تكون الغالبة على لغتهم، وقد تكون اللغة متأثرة بحيث تكون اللغة الرسمية مثلما نجدها في الكثير من الدول الاوربية والأسيوية التي تنازلت عن لغتها الرسمية واستبدلتها بلغة البلد المحتل كما في المستعمرات الاوربية ، فقد كانت اللاتينية قديما إحدى لغات الفرع الايطالي من مجموعة (الهندو – أوربية) محضرة في منطقة ضيقة من ايطاليا واصبحت بعد انتصارها في الصراع لغة رسمية لكل من : إيطاليا، البرتغال، أسبانيا ، الجول (فرنسا)، والألب وألبانيا .

٢- التجاور الجغرافي واهمية ذلك من انتقال الكثير من الالفاظ والكلمات بين اللغات فضلا عن انتقال الصفات اللغوية على مستوى الاصوات والتراكيب ، ويكمن ذلك في المستوى المتحضر لكل لغة ومدى تاثيرها في اللغة الاخرى وهذا ما نجده في اللغة العربية وتاثرها باللغتين الفارسية و التركية وانتقال الكثير من الاصوات والكلمات اليها وتاثر تلك اللغتين بالعربية أيضاً. وكذلك اللغات الاوربية التي تاثرت فيما بينها كالانكليزية و الفرنسية و الالمانية و البرتغالية و الاسبانية.

٣- العلاقات الثقافية والعلمية والتجارية لها اثر كبير في التأثر و التأثير بين اللغات ، فقد أولت التجارة بين البلدان الى انتقال الصفات اللغوية و المفردات بين اللغات ، فقد ورد أنّ الاسبانية اقترضت من العربية اكثر من اربعمائة لفظة ، فضلا عن البعثات العلمية مثلما كانت تعمل فرنسا في احتلالها مصر في عهد نابليون بونابرت ، وكذلك ما تعمله بعض البلدان من توطيد لغتها الأم كما تعمل بريطانيا في توسيع معاهد اللغات في جميع البلدان العربية من خلال التبادل الثقافي * .

٤- الصراع بين الحضارات ، ويعود ذلك الى قدرة عراقة كل منها في الثقافة والحضارة وقوة التاثير ، فنجد تنافسهما على التأثير بالشعوب على الرغم من التعايش بينهما ، فالاتينية مثلا لم تتغلب على الاغريقية لعراقة الاخيرة في الحضارة ، وكذلك التركية التي تمثل لغة الامبراطورية العثمانية على الرغم من عظمتها وسيطرتها على العديد من

الدول العربية لم تستطع التنافس والتغلب على اللغة الفرنسية أو اللغة الأنكليزية التي أثرت على أبناء العربية ويعود ذلك الى حداثة الحضارة التركية وقصر المدة التي حكموا فيها. ولعلّ سمة التعايش بين اللغات يولد العديد من المفاهيم اللغوية كالاقتراض والدخيل والمعرب ، ومن ذلك نجد أنّ العربية (السامية) بخصائصها اللغوية المتعددة وحضارتها العريقة قد استطاعت ان تتداخل مع غيرها من اللغات حين احتكت و اتصلت بالامم المجاورة بسبب الحروب والتجارة والثقافة وتجاورها الجغرافي فاثرت وتاثرت بحسب قانون التجاور والصراع .

- العربية والهندو- أوربية التأثير والتأثر:

تعد اللغات الهندو – أوربية من أكثر اللغات انتشاراً في العالم وأكثرها تداخلاً باللغة العربية، فهي تمتد مابين الشرق و الغرب من آسيا الى افريقيا وأوربا، وقد ذكرت المصادر الصلة الوثيقة بين هذه اللغات، حيث ضمت اللغات التالية (٧):

١- اللغات الهندية الايرانية أو اللغات الآرية ، وتشمل شعبتين :

الاولى: شعبة اللغات الهندية (السنسكريتية البراكيتية ، و اللغات الهندية الحديثة)

الثانية : شعبة اللغات الإيرانية (الفارسية القديمة ، و الأقستية ، والزند أقستية)

٢- اللغات الأرمينية .

٣- اللغات الأغريقية ، وتشمل اللغات اليونانية القديمة .

٤- اللغات الألبانية .

الخ.لغات الإيطالية، وتشمل الأسكية ، والأمبرية السمنية واللاتينية القديمة واللغات الرومانية ، واللغات المتشعبة من اللاتينية : كالفرنسية ، والبرتغالية ، والإيطالية، والإسبانية ، ولغة رومانيا ، ..... الخ .

٦- اللغات السلتية االقديمة: ، وقد طغت عليها الآن اللغات : الفرنسية و الإنكليزية والإسبانية ، ولكن بقي بعض أشكالها في كثير من اللهجات المحلية بايرلندا و ويلز ومنطقة البيرتون بغرب فرنسا .

٧- اللغات الجرمانية، وتشمل ثلاث شعب : شعبة اللغات الجرمانية الشرقية ، وهي اللغة الجوتية ، وشعبة اللغات الجرمانية الشمالية وهي لغات : ايسلندا والدنمارك والسويد والنرويج ، وشعبة اللغات الجرمانية الغربية ، وتشمل : الإنكليزية السكسونية ، والإنكليزية الحديثة ، والهولندية ، واللغات الفلامندية .

٨- اللغات البلطيقية السلافية، وتشمل شعبتين : الأولى ؛ شعبة اللغات البلطيقية ؛ وهي الليتوانية ، والليتيونية ، والبروسية القديمة . أما الثانية، شعبة اللغات السلافية او الصقلية ، وتشمل ؛ السلافية القديمة ، والروسية ، والبولونية ، والتشيكية، والصربية – الكرواتية، والبلغارية الحديثة .

وسيقتصر الحديث على أبرز اللغات ضمن هذه العائلة اللغوية وأكثرها تأثراً و تأثيراً في العربية :

١- العربية والهندية القديمة:

تمثل بلاد الهند حضارة عريقة امتدت لعشرات القرون ، فظهرت فيها أمم وشعوب وديانات متعددة ولازالت تحتل الصدارة من بين دول العالم في دياناتها المتنوعة ، وعلى الرغم من ذلك الى أنّها لم تسلم من الغزو و موجة

الاحتلال على يبد البريطانيين ، فقد امتدت تلك الحقبة الى ما يقارب اربعة عقود ، وهي فترة ليست بالقليلة مما اثّر في لغاتها العديدة حيث سادت اللغة الإنكليزية كلغة رسمية وبقيت لغاتها الأصل بمثابة اللغات الثانوية ، والمتتبع لحضارة الهند القديمة وهو ما يعنينا في دراستنا يجد أنّ اللغة السائدة حينذاك هي اللغة السنسكريتية ، وهي اللغة الأم عندهم ، وقد ذكرت المصادر القديمة أنّ هناك مشتركات بين العربية والسنسكريتية القديمة ، فقد أعلن (سير جون مارشال) أن أعوانه من الهنود قد اكتشفوا عند (موهنجو – دارو) على الضفة الغربية من السند الاعلى دلائل على أنّ هذه المدينة كانت تتصل مع سومر وبابل بصلات تجارية ودينية وفنية ، وأنّها ظلت قائمة أكثر من ثلاثة آلاف عام حتى القرن الثالث الميلادي .(٨) .

أمّا ما وطّد العلاقات بين العربية و الهندية هي الرحلات التجارية بين البلدان العربية وشبه القارة الهندية ولا سيّما وأنّ الطرق البحرية كانت وسيلة أساسية لكونها المنفذ الوحيد بين الشعبين ، وحينما بزغ فجر الاسلام وصل المسلمون الفاتحون الى الهند وإن كانت متأخرة بعض الشيء ، ففتحوا اجزاء كبيرة منها في عام ٩١ هـ وسموها بلاد (السند) فنقلوا الى العربية العلوم والمعارف والاداب والفلسفة وغيرها ، أما في مجال اللغة و الأدب ، فقد وصلت الينا مؤلفاتهم الكثيرة ، مثل : كليلة ودمنة ، كتاب السندباد ، و كتاب الاركند ، وغيرها . (٩)

أمّا الألفاظ التي يعتقد قد أن أصولها عربية ، نذكر منها : كلمة موز فأصله في السنسكريتية القديمة (Mucha) ، وكلمة الصندل في السنسكريتية (Chandan) ، وكذلك كلمة فلفل في السنسكريتية (pepale) ، أمّا الكلمات التي انتقلت من اللغة الهندية إلى اللغة العربية ، نذكر منها : الببغاء ، الزنجبيل ، الكافور ، الشطرنج ، الخيزران ... وغيرها (١٠) .

٢- العربية والفارسية :

تعد اللغة الفارسية من اكثر اللغات التي اثرّت وتاثرت باللغة العربية نتيجة التجاور الجغرافي للبلدان العربية فضلا عن العلاقات التجارية والثقافية والعلمية والدينية بينهما ، ولم تكن هذه العلاقات حديثة العهد بل امتدت منذ فجر الاسلام بعدما تحررت بلاد فارس على يد المسلمين ، ولعلّ ذلك سببا اساسيا للاحتكاك اللغوي و التداخل بينهما حتى الوقت الحاضر ، غير انّ اللغة الفارسية القديمة وهي اللغة الفهلوية التي امتدت حتى عصر الاحتجاج تختلف اختلافاً يسيراً عن اللغة الفارسية الحديثة التي تلت فترة صدر الاسلام (١١) ، وقد ذكرت المصادر ان العرب قد اقترضوا ألفاظا غير قليلة من اللغة الفهلوية منها ما عُرّب ومنها ما طرأ على بعض أصواتها تغيرا ، ومن تلك الالفاظ كلمة (ديباج) فقد وردت في الفهلوية (ديباك) ثم تطورت في الفارسية الحديثة الى (ديبا) حيث حذف صوت الكاف . وكذلك كلمة (مهندس) فقد وردت في الفهلوية (هنداز) أما االفارسية الحديثة فقد ذكرتها (انداز) ، ولعلّ ما ورد بالصيغة ذاتها كلمة (هندام) التي ذكرتها اللغة الفهلوية بالمعنى ذاته لكنّ الفارسية الحديثة ذكرتها (اندام) باستبدال صوت الهاء بصوت الهمزة (١٢) .

أما الفارسية الحديثة فقد أدخلت على العربية الكثير من الألفاظ التي ذكرتها المصادر القديمة والحديثة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: "الياقوت، البلور، الابريق، الكوز، الابريسم، الاستبرق ، الكعك، الجوز، اللوز، النرجس ، الدولاب، الخندق، الدستور، الشطرنج، التنور، الجاموس ، الديوان، العسكر ....."(١٣)

ونتيجة امتزاج الثقافات بين اللغتين استطاعت العربية ان تتداخل مع الفارسية في أغلب الالفاظ لا سيّما بعد دخول الاسلام وتعلّم لغة القرآن والأحاديث النبوية والسيرة وغيرها وهذا ما جعل اللغة والأدب بفنونهما يمتزجان بالثقافة الفارسية ، لذلك ذكرت المصادر الكثير من الالفاظ العربية التي اوردتها اللغة الفارسية وتاثرت بها . وقد نظر الباحثون الى مدى التداخل اللغوي بينهما ، فقد عدّ كثير منهم أن العربية اقترضت من الفارسية الكثير ، ومنهم من ذهب الى أبعد من ذلك حينما أشاروا بالأدلة بأنّ الفارسية هي من أقترضت الكثير من المفردات العربية سواء أكان على مستوى اللغة أم الأدب وهذا ما اكده الباحث الايراني يوسف عزيزي بقوله : " ازدهرت اللغة الفارسية وترعرعت في أحضان الأبجدية العربية بعد الفتح الاسلامي لإيران ، وقدمت شعراء ومتصوفين ومفكرين عظاماً ، خلافاً لما قبل الاسلام حيث لم تقدم اللغة البهلوية – وهي لغة البلاط عند الاكاسرة – أي اسم بارز في مختلف المجالات المعروفة وخاصة الأدب ، ويبدو أن اللغة الفارسية استعارت من اللغة العربية الكثير من تراكيبها ومفرداتها ، ولاحقاً استفادت من اللغة المغولية عند سيطرة الامبراطورية المغولية ومن ثم التركية " ، ويضيف بعد ذلك قوله : " لقد أثرت الثقافة العربية في الثقافة الفارسية عبر العصور ، وكان للأدب العربي تحديداً تأثير مهم في الادب الفارسي كما وكان للغة العربية أيضاً دور في إغناء اللغة الفارسية بالمفردات المتعددة ، فهناك نحو ٦٠ % من اللغة الفارسية مفردات عربية أو عربية الجذور " (١٤) .

ولعلّ ما يمكن إجماله من سمات التداخل اللغوي بين العربية والفارسية بوجه عام (١٥) :

١- تعد الكلمات الدخيلة من الفارسيالقديمة:المقارنة مع الكلمات العربية ، وذلك يعود الى ضعف سطوة الحضارة الفارسية على الحضارة العربية وتاثيرها عليها بالمقارنة مع الحضارات الاخرى .

٢- لم تتنوع الكلمات الفارسية في مجالات متعددة ، فكل ما دخل العربية بعض الاسماء والصفات بخلاف الفارسية التي تاثرت بالعربية من خلال حروفها وفنونها الادبية .

٣- لم تكن تلك الألفاظ او الكلمات في أغلبها على ما دخلت عليه انما قد يشتق منها افعالا كما في: كهرب، مغطس، ... .

٤- اخضاع اغلب الكلمات الى قواعد العربية سواء في اصواتها او قواعدها الصرفية

٥- استعار العرب من الفرس الفاظا لها نظائر في لغتهم ، ويعود ذلك اما لخفتها او سعة اطلاع العرب واتصالهم بالفرس .

٣- العربية واليونانية و اللاتينية القديمة:

تعد اللغتان اليونانية واللاتينية القديمة من اللغات الهندو – اوربية التي كانت تسيطران بشكل كبير على أجزاء واسعة من الشرق الاوسط بعد الاحتلال اليوناني والروماني في عهد فتوحات الاسكندر المقدوني (٣٥٦ – ٣٢٤ ق.م) وما بعدها، فاليونانية موطنها الاصلي بلاد اليونان و اللاتينية لغة ايطاليا ، وتعد سوريا البلد العربي الأكثر تواصلاً مع اللغتين؛ لكون الاستعمار اليوناني – وهو الأسبق - أسس مملكته فيها وجعل اسمها (انطاكية) وكانت تعد من أهم المراكز الثقافية اليونانية ، أمّا اللاتينية فكانت اللغة الرسمية لسوريا كمستعمرة رومانية منذ عام (٦٤ ق.م) الى فترة الفتح الاسلامي وسميت باللغة الرومية (١٦)، ولعلّ تلك الأسباب جعل تأثير اللغتين جلياً على اللغة العربية وانتقال الكثير من الالفاظ الى الادب العربي ولا سيما الأدب الجاهلي ، غير أنّ الصراع بين اللغتين اليونانية واللاتينية قد

جعلهما يتأثران ببعضهما ، وقد أشرنا سابقاً أن من أسباب التأثير والتأثر هو صراع الحضارات ، ولما كانت اليونانية اكثر ثقافة وحضارة استطاعت ان تؤثر على اللاتينية وتفرض لغتها ، وعلى اثر الصراع اللغوي توافدت الى العربية كلمات كثيرة من كلتا اللغتين نذكر منها : " دينار، منديل ، قنصل " وهي كلمات لاتينية ، وهناك كلمات يونانية نذكر منها : " موسيقى ، قيراط ، اطلس ، القرميد " (١٧)

ويبدو أنّ تأثر اللغات اليونانية واللاتنية باللغة العربية اخذ حيّزاً كبيراً ، فقد وردت اشارات عديدة ذكرها الاب انستاس ماري الكرملي حينما بيّن في مواضع كثيرة تداخل العربية مع اليونانية واللاتينية بعد ان اثبت المستشرقون بأنّ"العربية من غير المعقول أن تتأثر أو تؤثر باللغات البعيدة عنها ، وقد ذكر الكرملي قوله :" قد وجدنا المشابهات بين العربية واللغتين المؤتمتين (أي اليونانية واللاتينية) عظيمة جداً ، وبلغ بنا الاستقراء الى هذه القاعدة وهي : كل لفظة يونانية او لاتينية ذات هجاء اوحد او هجاءين ، فلا بد من ان يكون مقابل في المضرية ، وقد تتفق معاني اللفظتين كل الاتفاق ، وقد تبتعد قليلاً " (١٨) .

ومن الأمثلة التي ذكرها الكرملي من باب التقابل اللغوي لفظة (البلّوطة) في اللغة اليونانية (BALANOS) ، وقد وجد علماء اللغة الغربيون أنّ أقرب كلمة إلى هذه اللفظة في اللغة اللاتينية (glaus)، فيما لاحظوا مقابلات لها في بعض اللغات على اختلاف الحرف الأول، غير أنّهم لم يذكروا بأنّ الكلمة التي تجانسها تماما في اللفظ و المعنى هي في العربية بلفظة (البَنَان) ومعناها الأصابع أو أطرافها ، والمشابهة – على قول الكرملي – بين البلوط والبَنَان واضح من حيث الشكل ، أما التقارب الصوتي (النطقي) بين اللفظتين يعود إلى الأصل اللغوي القديم للفظة هو (بَلان) بلام بعد الباء الموحدة التحتية، وقد نطقت بها اللغات القديمة كالصقلبية القديمة والرومية والتوانية والارمنية ، ولو كان هناك نص عربي قبل المسيح بألف سنة لسمعناهم يقولون (بلان) ؛ لأنّ قلب اللام نونا أو قلب النون لاماً كان مشهورا في اللغات المحكية ، ومن الأمثلة الأخرى التي أشار إليها الكرملي توافق الأفعال والحروف أيضا ، فقد وجد مشابهة حرف الجواب (نَعَم) باختلاف لغاته في العربية ، فقد ورد في اليونانية بلغات متعددة كان أبرزها (NAI-MAN) ، فحينما تلفظ بصورة مركبة بنطقنا العربي بكلمة واحدة كأنّما تنطق (نَيْمَنْ) ، وحينما نقابلها بلفظة (نعم) نجد مدى التوافق في النطق والمعنى بينها ، فـ(نَيْمَنْ) في اليونانية تشبه (نَعمَن) في العربية سوى حرف العين الحلقي الذي يسقط في لغات الغرب ، مثلما نجد بعض الاختلافات في بعض الحروف في اللهجات القديمة في العربية نفسها (١٩). وقد ذكر الأب رفائيل نخلة اليسوعي ما يقارب تسعين لفظة اقتبستها اليونانية من العربية (٢٠).

أما اللاتينية فلا تكاد تختلف عن اليونانية في طبيعة تاثرها بالعربية، غير ان اليونانية اكثر تاثراً من اللاتينية بالعربية وتاثيراً فيها ، والامثلة كثيرة جول طبيعة تاثر اللاتينية بالعربية، فقد ورد الفعل (زَرَعَ) في اللاتينية (SERERE) ، لكن عند حذف علامة الفعل اللاتيني (RE) يبقى منه (SERE) ، وكما اسلفنا بأن الغربيين لا ينطقون احرف الحلق، فقد عوض عنها بالحرف (E)، فاصبحت تنطق (سَرَى)، علما انّ صوت (الزاي) في العربية يلفظ في اللاتينية (سيناً) . وبذلك توافقت اللفظتان نطقا ومعنى . ويبدو أنّ طبيعة الاشتقاق سمة اساسية في اصالة اللغتين ، فاللاتينية حينما تولد كلمات مشتقة تختلف صياغتها من مشتق الى آخر ، واختلاف المشتقات عن اصل الكلمة على عكس العربية التي تبقي جذور الكلمة (الاصل) في مشتقاتها (الفروع)(٢١) .

ولا تكتفي اللاتينية بالأسماء والأفعال في تأثرها بالعربية بل تعدتها الى الحروف ، فقد وردت في الحروف تشابها ايضاً كما في حرف العطف (ثُمّ) الذي يقابله (TUM) في اللاتينية ، وتبدو المشابهة مطابقة حين الوقف (في حالة العطف) لا في حالة الظرفية ، لأنّ هذه اللفظة اللاتينية يمكن أن تكون ظرفاً بمعنى (حينئذ)، وبالتالي لا تتحقق المقابلة (٢٢).

وحقيقة ما لمسناه من أصالة العربية في تأثيرها على اللغتين اليونانية واللاتينية يعود الى طبيعة اصول الكلمات في كلتا اللغتين ، فهناك العشرات من الكلمات في معاجم اللغتين لا يعرف مصدرها، وهذا ما ورد في كلامهم – كما اشار الكرملي - من خلال المعجمات التي ألّفوها كمعجم (والدي في اللاتينية واصولها)، و معجم (بوازاق في الاصول اليونانية)، وغير ذلك، فهم يصرحون بجهلهم عن اصل كلمات كثيرة وردت في معاجمهم ، وحينما نقابل تلك الكلمات المجهولة نجد ان اللغة العربية احتفظت باصالة اللفظة ومعناها ، وهذا دليل على اصالة العربية .

٤- العربية مع الفرنسية والانكليزية والاسبانية:

تتمتع العربية بميزات لعلّها تغلبت على باقي اللغات الاخرى بقوة نفوذها وسطوتها ، وسرعة انتقال الالفاظ منها الى باقي اللغات ، وهذا – كما اشرنا سابقاً – لم يتات من فراغ وإنّما من سعة الحضارة العربية وعراقتها وقداسة لغتها ، ولعلّ ما جعل العربية تصل الى البلدان الاوربية هو قدرتها على التحرك بصورة اكبر لاسيّما بعد انتشار الاسلام وبداية الفتوحات الاسلامية التي وصلت الى اواسط اوربا ومنها الى فرنسا واسبانيا والبرتغال وغيرها ، ولعلّ ما جرى في فرنسا على الرغم من وصول المسلمين الى جزء منها وهي ولاية صغيرة واقعة على ساحل البحر المتوسط استطاعوا أن يتركوا بصمة للغتهم خالطت اللغة الفرنسية ، وما آل اليه فتح الاندلس التي تمثل بلدان اسبانيا والبرتغال في الوقت الراهن قد نقل ثقافة الاسلام ولغته ، فقد بلغت العربية أوجّها في تلك الحقبة ، وهذا ما ظهر في تراثنا اللغوي و الادبي، أمّا الانكليزية فيبدو أن تاثير العربية فيها قد وصلها في مرحلة متقدمة لانعدام التواصل الجغرافي، فضلاً عن كون العرب الفاتحين لم يصلوا اليها في تلك الحقبة، لكن ذلك لا يعني أن الانكليزية لم تتأثر بالعربية، وإن كانت المدّة قليلة بالمقارنة مع غيرها من الامم الاوربية فقد أصبحت بالمرتبة الاولى بالنسبة الى العلاقة اللغوية مع العربية ، حيث حدث الاحتكاك اللغوي بينهما نتيجة الرحلات الثقافية والعلمية والتبادل التجاري بينهما، فضلاً عما تركه الاحتلال الانكليزي لاغلب البلدان العربية ، ويبدو أنّ الاهتمام باللغة العربية بدأ رسمياً حينما دعت الحاجة الى فهم الاسلام ولغته في محاولة الكنيسة التقرب الى ثقافة الاسلام ولغته العربية، واستمرت المحاولات الى أن أنعقد مؤتمر فينا عام ١٣١٢م الذي اوصى بأن تدرّس الغة العربية في كبرى المراكز العلمية في أوربا(٢٣) .

أما تأثر العربية باللغة الانكليزية فهو واسع ومتعدد في كثرة الالفاظ سواء المعربة او الدخيلة ، ولكن ذلك لا يعني أن اللغة العربية لم تؤثر في أصالة بعض الالفاظ الانكليزية، فنجد العشرات من الالفاظ التي استعملتها الانكليزية ولها اصول عربية، منها: لفظة (GOOD) فهي بمعنى جيد وهي مصدر الجودة ، فالمقارنة توضح الاتفاق في النطق والمعنى، وكذلك لفظة (attar) بمعنى عطر، ومنه مشتق عطار، وفيه مقاربة صريحة وكذلك في الألفاظ التالية:

(durra) بمعنى ذُرة (نبات الذرة)، (fellah) بمعنى فلّاح، (kafir) بمعنى كافر، (omlah) بمعنى عملاء، (imam) بمعنى إمام . وغيرها من الالفاظ. وقد ذكر الاب رفائيل نخلة اليسوعي ما يقارب سبعين كلمة انكليزية لها أصل في العربية (٢٤).

أمّا اللغة الفرنسية فهي لم تقلّ أهمية عن اللغة الانكليزية في احتكاكها و تداخلها مع العربية ، فقد أحدثت الفرنسية ثورة في لغتها لا سيما في دول المغرب العربي أبان الاحتلال الفرنسي في القرن التاسع عشر ولازالت آثارها باقية في الوقت الراهن ، ولكن هذا لا يعني أنّ اللغة الفرنسية لم تتأثر بالعربية ، فقد ذكرت مصادر كثيرة حول أصول بعض الكلمات الفرنسية التي تعود جذورها إلى اللغة العربية، ولعلّ مصداق ذلك ما اقرّ به الكاتب الفرنسي بيير جيرو من تأثير الكلمات العربية في القاموس الفرنسي ، فقد أحصى مائتين وثمانين كلمة دخلت إلى الفرنسية من أصل عربي وعلى مر العصور(٢٥) .وقد ألّف أحد الباحثين معجماً خاصاً تضمن كلمات فرنسية ذات أصول عربية ولم يكتف بذلك بل اعتمد على وسائل خاصة وضّح من خلالها تاريخ دخول تلك الكلمات ومدى تأثرها باللغة الفرنسية، وقد أحصى ما يقارب ستمائة كلمة * . ومن تلك الألفاظ: خنجر (kandjar)، خان (kan)، شيخ (cheik)، قبّة (koubba) ، وغيرها.

أما اللغة الاسبانية فكان للعربية نصيب كبير في التأثير عليها أو الاحتكاك معها، ولعلّ ذلك يعود إلى فترة فتح بلاد الأندلس التي امتدت ثمانية قرون (٧١١ م – ١٤٩٢ م) ، فقد تأسست حضارة عريقة امتدت بين بلدان اسبانيا والبرتغال ، ولعلّ ذلك سببا مهما في احتكاك العربية باللغة الاسبانية إذ توسعت المفردات العربية في اللغة الاسبانية وأصبحت جزءا منها، وقد قرأت موقفاً طريفاً مع أسرة عربية سافرت إلى أسبانيا في رحلة سياحية عام ٢٠٠٤ م ، بعد أن حلّ بهم المطاف جلسوا في مقهى قرب ملقا ، وحينما رغبوا بالانصراف بعد إكمال مبتغاهم كان لابد لهم من طلب الفاتورة ، فرفعت السيدة وقالت باللغة الانكليزية: "The bill, please " ، فلم تفهم النادلة شيئاً، حاولت السيدة أن تتحدث بالفرنسية قائلة : " L'addition, s'il vous plait "، ومجدداً لم تفهم النادلة مقصدها ، احتارت السيدة مع النادلة ، فخاطبت عائلتها بالعربية :" ليست ضليعة باللغات ، لحسن الحظ أني لا اريد شيئاً غير الفاتورة! "، فسمعتها النادلة وقالت : "" ! Ah , la facture وبعدها جلبت الفاتورة بدون تأخير (٢٦). وهذه دلالة واضحة على فهم المفردات العربية وإن كانت الرحلات السياحية سبب أساسي لانتقال المفردات بين لغات العالم .

ولمكانة العربية في اللغة الاسبانية وشدّة تأثرها ، فقد صنّف الاب جان دي صوصة معجماً ضمّ ما يقارب ثمانية عشر ألف كلمة مشتّقة من أصل عربي ، نذكر منها على سبيل المثال : ورقة (Adarga)، والفارس (Alfarez)، وقميص (Camisa)، ودليل (Dalil) وغيرها من الكلمات الأخرى.

الخاتمة

بعد هذه الدراسة المقتضبة عن علاقة العربية باللغات الهندو – أوربية ، يمكن أن نلحظ الجوانب التالية :

- يمثل التداخل اللغوي مظهراً من مظاهر التطور اللغوي ، وقد حققت العربية الصدارة في ذلك .
- يُعد التأثير والتأثر بين اللغات قانوناً اجتماعيا يكشف عن مدى التواصل بين اللغات ، وكشف الروابط الأدبية والثقافية بينهما ، على الرغم من تعدد عوامله وأسبابه .
- إنّ تأثير العربية وتداخلها مع اللغات الهندو – أوربية استطاع أن يحدد المسار التاريخي والتسلسل الزمني لتلك اللغات ، فضلاً عن أسباب نشأتها وطبيعة تحولاتها الصوتية والتركيبية .
- تمكنت العربية من خلال التداخل اللغوي والاحتكاك مع اللغات الأخرى أن تثبت الكثير من الألفاظ المجهولة في المعجمات اللغوية لتلك اللغات .
- تُعد الألفاظ العربية الإسلامية من أكثر الألفاظ تأثيرا في اللغات الهندو – أوربية ولعلّ ذلك يعود إلى فترة الفتوحات الإسلامية وتأثير القرآن الكريم في تلك اللغات .

الهوامش :

١- اللغة (فندريس) : ٣٤٨ .

*- الهندستانية : هي لغة الهند الشمالية ، حيث يتكلم بها خمسة وعشرون مليوناً من المسلمين ، فضلاً عن عدّة ملايين غيرهم الى جانب لغاتهم الخاصة . (يُنظر : غرائب اللغة العربية : ١٢٣)

٢- غرائب اللغة العربية : ١٢٤ .

٣-ام اللغات (نقلاً عن جريدة الاهرام المصرية) : ٣٧ .

٤- علم اللغة (وافي) : ٢٥٤ .

٥- ينظر : مجلة اللسان العربي : العدد الخامس / ١٩ .

٦- ينظر : المصدر نفسه : ٢٠ – ٢٨ .

*- تخصص بريطانيا ميزانية سنوية تقدر بمائتي مليون جنيه استرليني لنشر اللغة الانكليزية عن طريق دعم المراكز البريطانية فضلا عن برامج تعليم اللغة الانكليزية التي تبثها هيئة الاذاعة البريطانية وغيرها من البرامج الاخرى . (ينظر : ام اللغات : ٢٠) .

٧- يُنظر : علم اللغة (وافي) : ١٩٧ – ١٩٩ ، و دراسات في فقه اللغة : ٤٣ .

٨- من مقال بعنوان : بين اللغة العربية ولغات الهند وحضارتها – مقارنة لفظية : محمد رشيد ناصر ، ١٢ / ٥ / ٢٠٠٥ ، موقع ديوان العرب ، شبكة الانترنت .

٩- ينظر : البحث اللغوي عند الهنود : ١١٦- ١١٧ .

١٠ – المصدر نفسه : ١١٧ .

١١- المعرب والدخيل في اللغة العربية : ٢٣ .

١٢ – المصدر نفسه : ٢٣ .

١٣ – يُنظر: فقه اللغة واسرار العربية : ١٩٨ – ١٩٩، والألفاظ الفارسية المعربة: ١٥

١٤ – من مقال بعنوان : بين العربية والفارسية – مقارنة لغوية : للباحث محمد رشيد ناصر ، بتاريخ ٢٥ / ٣ / ٢٠٠٨ ، مدونة ديوان العرب ، شبكة الانترنيت .

١٥ – ينظر : قصة الأدب الفارسي : ١ / ١٩٤ ، وضحى الاسلام : ١ / ١٧٥ .

١٦ – ينظر : علم اللغة(وافي) : ١٩٨ – ١٩٩ .

١٧ – ينظر : ام اللغات : ٣٩ .

١٨ – نشوء اللغة العربية : ٥٠ .

١٩ – ينظر : المصدر نفسه : ٥١ .

٢٠ – غرائب اللغة العربية : ١٦٢ – ١٦٤ .

٢١ – ينظر : نشوء اللغة العربية : ٥٨ .

٢٢ – ينظر : المصدر نفسه : ٦٢ .

٢٣ – ينظر: بحوث في الاستشراق واللغة : ٣٧٨ .

٢٤ – ينظر: غرائب اللغة العربية : ١٥٠ – ١٥٢ .

٢٥ – ينظر: ام اللغات : ٣٦ .

*- معجم للباحث الدكتور توفيق عزيز أسماه (المعجم الفرنسي ذو الاصل العربي) .

٢٦ – ينظر: العربية في اللغات العالمية: ٩ .

المصادر و المراجع

- أم اللغات دراسة في خصائص اللغة العربية والنهوض بها : سعيد احمد بيومي ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٢ م .
- الالفاظ الفارسية المعربة : أدي شير الكلداني ، المطبعة الكاثوليكية – بيروت ، ط ١ ، ١٩٠٨م .
- البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب : أحمد مختار عمر ، دار الثقافة – بيروت ، ١٩٧٢ م .
- بحوث في الاستشراق واللغة : اسماعيل احمد عمايرة ، مؤسسة الرسالة – عمان ، ط١ ، ١٩٩٦ م .
- دراسات في فقه اللغة : صبحي الصالح ، دار العلم – بيروت ، ط١٦ ، ٢٠٠٤م .
- ضحى الاسلام : أحمد أمين ، مكتبة النهضة – القاهرة ، ط ٦ ، ١٩٦١ م .
- العربية في اللغات العالمية : من اصدارات مركز الملك عبد العزيز الثقافي ، د.ت .
- علم اللغة : علي عبد الواحد وافي ، نهضة مصر – القاهرة ، ط ٩ ، ٢٠٠٤م .
- غرائب اللغة العربية : الاب رفائيل نخلة اليسوعي ، دار المشرق– بيروت ، ط٤، د.ت
- فقه اللغة واسرار العربية : ابو منصور الثعالبي (ت ٤٣٠هـ) ، حققه : ياسين الايوبي ، المكتبة العصرية –بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٠م .
- قصة الادب الفارسي : حامد عبد القادر ، مكتبة النهضة – مصر ، ط ١ ، ١٩٥١ م .
- اللغة : ج . فندريس ، ترجمة : عبد الحميد الدواخلي و محمد القصاص ، مكتبة أنجلو المصرية ، د.ت .
- مجلة اللسان العربي : مجلة دورية تصدر عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، العددان ٤ ، ٥ ، الرباط – المغرب .
- المعرب والدخيل في اللغة العربية : عبد الرحيم عبد السبحان ، رسالة دكتوراه بجامعة الازهر ، ١٩٧٧ م .
- نشوء اللغة العربية ونموّها واكتهالها : الاب انستاس ماري الكرملي ، المطبعة العصرية – مصر ، ١٩٣٨ م .